المقاومة الإسلامية فى لبنان

نشأت المقاومة الإسلامية في لبنان كتنظيم عسكرى سري لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي الذي اجتاح جنوب لبنان ووصل إلى قلب العاصمة بيروت في عام ١٩٨٢. ولم تعلن هذه المقاومة عن عملياتها المستقلة إلا في مطلع عام ١٩٨٤. أما قبل ذلك التاريخ فقد كان نشاطها جزءًا مما كان يطلق عليه «جبهة المقاومة اللبنانية» التي انكفأت بعد انسحاب الجيش الإسرائيلي من معظم المناطق التي احتلها في عام ١٩٨٦ لتصبح المقاومة الإسلامية، منذ ذلك الوقت، وإلى يومنا هذا، الأكثر فاعلية وإيذاءً للمحتل، ولتتحول المقاومة الوحيدة تقريبًا التي تخوض مواجهة يومية، عبر عمليات متنوعة، ضد جنود الاحتلال وعملائه في جنوب لبنان وفي بقاعه الغربى.

لقد واجه الاحتلال الإسرائيلي في لبنان، منذ حوالي ربع، قرن ثلاثة «أنواع» من المقاومة الشعبية المسلحة التي تباينت هوياتها، وأطرها، وأساليب عملها، والظروف المحلية والإقليمية التي أحاطت بها، لكنها واجهت دائمًا عدوًا إسرائيليًا واحدًا. وهذه المقاومات هي:

١- **المقاومة الفلسطينية: (١٩٦٩-١٩٨٢)**

لم تستمر هذه المقاومة في لبنان سوى ثلاثة عشر عامًا، بدأت في مطلع السبعينيات، وانتهت في مطلع الثمانينيات مع اجتياح إسرائيلي واسع لجنوب لبنان أدى إلى انتقال الفصائل الفلسطينية المسلحة ومؤسساتها إلى دول عربية أخرى، لتتوقف بذلك عملياتها من خارج الأرض الفلسطينية بعد مسيرة شاقة منذ انطلاقتها الأولى في عام ١٩٦٥.

لكن هذه المقاومة وعلى الرغم من سقوطها في رمال لبنان الطائفية والسياسية المتحركة (وخصوصًا في أثناء الحرب الأهلية في ١٩٧٥)، وعلى الرغم من الانقسام اللبناني حول وجودها وعملها العسكري، ساهمت كأول حركة شعبية عربية، في توليد مناخات فكرية وسياسية وعسكرية ضد الاحتلال الإسرائيلي وضد الوجود الصهيوني. وقد لعبت المؤسسات الفكرية والبحثية الفلسطينية في لبنان دورًا مهمًا ورائدًا في نشر ثقافة التحريض ضد الكيان الصهيوني، والتعرف إلى ما يجرى في داخله. ولم يسبق لأي من التنظيمات والأحزاب اللبنانية (بعضها يعود تاريخ تأسيسه إلى ما قبل إنشاء الدولة العبرية في فلسطين بأكثر من عقدين من الزمن) أن قام بعمل مماثل على الصعيد العسكري أو الفكري والبحثي. كما إن انخراط أعداد واسعة من الشباب اللبناني في صفوف هذه المقاومة ساهم بدوره، من خلال التدريب،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

والقتال إلى جانبها، في توليد مناخ الألفة مع السلاح، وفي الجرأة على مواجهة العدو وقتاله.

لقد كانت هذه المقاومة حلقة، أو مرحلة من مراحل القتال ضد الاحتلال الإسرائيلي في لبنان. كما كانت تجربة العمل العسكري في صفوفها رصيدًا ثمينًا سيستفيد منه لاحقًا الكثيرون ممن انخرطوا في جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية، أو في مراحل الانطلاق الأولى قبل أن تراكم كل واحدة من هذه «المقاومات» تجربتها الخاصة. كما كانت تجربتها السياسية بطبيعة الحال، (وخصوصًا على مستوى الداخل اللبناني) رصيدًا آخر لاستخلاص الدروس والعبر.

٢- جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية:

ولدت هذه الجبهة في إثر الاحتلال الإسرائيلي المباشر لأجزاء واسعة من لبنان عام ١٩٨٢. ولم يكن لهذه الجبهة أي وجود قبل هذا التاريخ. إلا أن الأحزاب والقوى والمنظمات التي تشكلت منها هذه الجبهة كانت جزءًا من المشهد السياسي والحزبي الذي عرفه لبنان سنوات طويلة، وخصوصًا إبان الحرب الأهلية فيه التي اندلعت في ١٩٧٥. وقد انكفأت عمليات هذه الجبهة تدريجًا منذ ١٩٨٦، أي بعد أول انسحاب إسرائيلي من معظم الأراضي التي تم احتلالها في اجتياح ١٩٨٢، لتتوقف عملياتها بشكل نهائي مع نهاية عقد الثمانينيات. وقد ترافق انتهاء هذه الجبهة كصيغة عسكرية لمقاومة الاحتلال مع انكفاء شعبي وسياسي «للأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية»، التي تشكلت منها هذه المقاومة، ومع أزمات تنظيمية وسياسية وأيديولوجية لهذه الأحزاب والقوى.

٣- المقاومة الإسلامية:

على عكس كثير من المنظمات والحركات الإسلامية الأخرى، لم تنشأ المقاومة الإسلامية في لبنان كذراع عسكري لحزب أو لحركة، كما هو الحال على سبيل المثال مع كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة حماس في فلسطين المحتلة، أو كالتنظيم السري لجماعة الإخوان المسلمين، أو كالجماعات المسلحة التي انشقت عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر، وإنما ظهرت المقاومة الإسلامية في لبنان من أجل هدف وحيد هو طرد الاحتلال، قبل أن يعّبر عنها، وبعد بضع سنوات من انطلاقتها، تنظيم سياسي هو «حزب الله».

تشكلت المقاومة الإسلامية من الأفراد والهيئات والجمعيات والمنظمات التي كانت تعمل على الساحة منذ سنوات طويلة. كما التحق بهذه المقاومة بعض الذين تأثروا بالظاهرة الإسلامية التي شهدت صعودًا ملحوظًا بعد عام ١٩٨٠، وبعض الذين تركوا منظمات وأحزابا وحركات أخرى غير إسلامية.

وقد بدأ نجم المقاومة الإسلامية بالصعود في خضم المواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي على الأرض اللبنانية من خلال العمليات الناجحة التي قامت بها، والضربات الموجعة التي سددتها إلى قوات الاحتلال.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

إن الخصوصية الأولى للمقاومة الإسلامية في لبنان هي في ارتباطها بوجود الاحتلال مباشرة وليس بأي وجود حزبي أو تنظيمي سابق عليه. ويردد أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله أن من غير المؤكد ظهور هذه «الحالة الإسلامية» في لبنان لولا الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٨٢. وقد تمايزت هذه المقاومة عن سابقاتها، ونجحت في فرض احترامها وتأكيد شرعيتها من خلال العمليات النوعية السرية التي قامت بها قبل الإعلان عن وجودها السياسي التنظيمي كالعملية الاستشهادية الأولى، التي نفذها الشاب أحمد قصير في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٢ ضد مبنى القيادة الإسرائيلية في صور، في جنوب لبنان، وأدت إلى مقتل ٨٥ عسكريًا إسرائيليًا كانوا في داخل المبنى. وقد كان لهذه العملية النوعية التي حصلت بعد خمسة أشهر فقط على الاجتياح الإسرائيلي تأثير كبير على معنويات طرفي المواجهة، المقاومة بفصائلها كافة، والجيش الإسرائيلي. وسوف تكون هذه العملية فاتحة عمليات أخرى سيشهدها جنوب لبنان وجنود العدو وستنتقل «عدواها» لاحقًا إلى فلسطين المحتلة. وهذا النوع من العمليات لم يكن معروفًا سابقًا. ولم تلجأ إليه أي من «المقاومات» في لبنان في مواجهة جنود الاحتلال. وإلى المقاومة الإسلامية يعود السبق في استخدام مثل هذه الأساليب في عمليات الإنهاك العسكري والأمني والمعنوي لجنود العدو. وتكشف المتابعة البيانية لتصاعد عمليات المقاومة الإسلامية، وفقًا لمصادر المعلومات المنشورة حول هذا الموضوع، من تدمير منشآت، وتفجير عبوات، ومواجهة مباشرة مع جنود العدو وعملائه، وزرع ألغام، وعمليات أخرى. . . أن السنة الأولى من الاحتلال (١٩٨٢-١٩٨٣) لم تعرف أي نوع من العمليات التي نسبتها المقاومة الإسلامية إلى نفسها، لأنها لم تكن قد تشكلت بعد كتنظيم سياسي. ولم تكن طرفًا مستقلًا عن «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية» التي كانت كل بيانات العمليات تصدر باسمها فقط. وتفسر «المقاومة الإسلامية» عدم الإعلان عن هوية منفذي عملياتها برغبتها في إبقاء الأمر سرًا حتى لا يلفتوا أنظار الجيش الإسرائيلي. فتأخير الإعلان عن هوية المقاومة كان له دور رئيسي في منع اكتشاف مجموعاتها العسكرية، وحوّلها إلى تنظيم سري اكتمل بناؤه قبل أن يتمكن الجانب الإسرائيلي من اكتشاف هويته أو الجهات المسئولة عنه.

إلا أن إخفاء الهوية السياسية للمقاومة كان سلاحًا ذا حدين. فهو وإن حماها من الهجوم الإسرائيلي المباشر في فترة الانطلاق والتأسيس، فإنه أقصاها لفترة من الزمن عن قيادة الحركة السياسية المناهضة للاحتلال، وهو ما أحوج الإسلامية لاحقًا لخوض صراعات سياسية وإعلامية لتثبيت الهوية السياسية لمقاومتها[١].

أما في السنوات اللاحقة بين الأعوام ١٩٨٤ و ١٩٩٦ حتى ١٩٩٨ فقد سجلت الإحصاءات

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تصاعدًا ملحوظًا للعمليات الخاصة بالمقاومة الإسلامية. بدأ عام ١٩٨٤ بـ ٢١ عملية ليصبح مع نهاية عام ١٩٩٦، ٧٦٣ عملية، وفي عام ١٩٩٨، ١١٦٣ عملية. في حين تراجعت عمليات جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية من ١٣٩١ و ١٤٣٩عملية في عامى ١٩٨٥ و ١٩٨٦، إلى ٦ عمليات في ١٩٩٤، وإلى عملية واحدة في ١٩٩٦[٢]. أما الإحصاء الأخير لعام ١٩٩٩، (انظر الجدولين ١ و٢).

عوامل نجاح المقاومة الإسلامية:

خلافًا لتقليد «المقاومات» السابقة، لم تشارك المقاومة الإسلامية منذ نشأتها إلى اليوم، مع أي طرف آخر في عمليات ضد الاحتلال. ولا يعود ذلك إلى الرغبة في الانسجام العقائدي بين أفرادها، بل ترد المقاومة ذلك إلى خشيتها من اختراق العدو صفوفها عندما تتنوع الانتماءات والاتجاهات السياسية والعقائدية بحيث يصعب مراقبتها أو السيطرة عليها، كما كان يحصل مع التجارب السابقة للمقاومة (وخصوصًا الفلسطينية)، والتي تعرضت لكثير من الضربات والاغتيالات بسبب هذه الاختراقات الأمنية في صفوفها. وقد تعرضت المقاومة الإسلامية بسبب هذه الرغبة في القيام بعملياتها دون أي تنسيق أو مشاركة مع الفصائل العسكرية الأخرى، إلى الاتهام حينًا بأنها «تحتكر المقاومة» لأغراض سياسية، وإلى إهمالها حينًا آخر جوانب الصمود والتنمية الاجتماعية التي تكمل الجانب العسكري في المقاومة. وقد استطاعت المقاومة الإسلامية أن تتجاوز هذه الاتهامات، وأن تفتح باب المشاركة للقوى الأخرى غير الإسلامية التي ترغب في مقاتلة الاحتلال دون أن تتخلى عن أطرها الخاصة التنظيمية والأمنية والعسكرية. فأعلنت، وبلسان الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، في الثالث من تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٧ عن تشكيل «السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي» كإطار جامع لكل راغب في المشاركة بأعمال المقاومة المسلحة ضد قوات الاحتلال في جنوب لبنان، وأكد السيد نصر الله -أن هذا التشكيل سوف يبقى منفصلًا عن جهاز المقاومة الإسلامية التي ستكون جاهزة لتقديم كل دعم تحتاجه السرايا اللبنانية من أجل القيام بأعمال عسكرية وأمنية في المناطق اللبنانية المحتلة{[٣]}.

لم يكن هذا الإعلان عن تشكيل «سرايا لبنانية لمقاومة الاحتلال» من دون تحديد أي بعد عقائدي (إسلامي) لها مجرد رغبة في رد تهمة احتكار المقاومة؛ ولم يكن هذا الإعلان كذلك مجرد رغبة في المحافظة على الإطار التنظيمي الأمني والعسكري لخلايا المقاومة الإسلامية، بل كان إدراك المقاومة لأهمية توسيع دائرة المشاركة في قتال العدو في المجتمع اللبناني المتنوع طائفيًا ومذهبيًا وسياسيًا هو الدافع الأهم لتشكيل مثل هذه السرايا التي نفذت بعد ذلك عمليات عدة ضد الاحتلال[*] ذلك أن الخصوصية الإسلامية للمقاومة شكلت عائقًا أمام تحقيق رغبة بعض اللبنانيين من طوائف غير إسلامية ومن اتجاهات سياسية مختلفة، في

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الانضواء تحت لواء المقاومة الإسلامية لمقاتلة الاحتلال. وحتى لا يبقى هذا القتال حكرًا على جماعة دون أخرى من اللبنانيين كانت هذه المبادرة التي تمحورت بالنسبة إلى قيادة المقاومة الإسلامية حول جملة أهداف وأولويات أهمها:

١- تكريس قضية الصراع مع العدو وتحرير الأرض.

٢- محاربة التطبيع.

٣- إجهاض محاولات العدو لتكريس احتلاله وكيانه الغاصب كواقع شرعي وقانوني في قلب المنطقة.

٤- خلق نقطة إجماع كبرى وطنيًا وقوميًا وإسلاميًا تشمل مختلف أنواع القوى والقيادات والشرائح الاجتماعية والمذاهب الدينية والمعتقدات السياسية والثقافية والفكرية[٤].

استخدمت المقاومة الإسلامية الأساليب المعروفة في حروب العصابات، أي المجموعات الصغيرة التي تشن هجومات مفاجئة على دوريات العدو وتحصيناته، أو تعمل على زرع الألغام والكمائن على طرق مواصلاته. لكن المقاومة نجحت إلى جانب هذه الأساليب، في تقديم تجربة متميزة ومختلفة عن التجارب الأخرى في لبنان على المستويات الأمنية والإعلامية والسياسية.

ومن ذلك على سبيل المثال:

أ- أنها لم تعتمد تكتيكًا واحدًا في المواجهة، هو انتظار جنود الاحتلال على الطرقات أو في الأحراش، أو قصف مواقعه من القرى البعيدة. بل لجأت إلى المبادرة إلى شن عمليات واسعة، وأحيانًا متعددة، في الوقت نفسه على أكثر من موقع من مواقع الاحتلال، وتمكنت في حالات كثيرة من السيطرة على هذه المواقع لساعات طويلة، وتدميرها، وأسر من فيها في بعض الأحيان.(انظر الجدول رقم ٣).

ب- أنها نجحت في تطوير قدرات استخبارية عالية مكنتها من رصد تحركات جنود الاحتلال وعملائه، وإيقاع خسائر مباشرة وكبيرة بهم عبر الكمائن أو التفجيرات، في داخل الشريط المحتل وخارجه وصولًا إلى الحدود الإسرائيلية نفسها، ما أدى في الأوساط الإسرائيلية العسكرية والأمنية إلى طرح الشكوك والتساؤلات وتشكيل لجان للتحقيق حول مدى اختراق «حزب الله» لهذه الأوساط أو للعملاء، خصوصًا بعد الفشل الذريع لمحاولة الإنزال الإسرائيلية الأخيرة في بلدة «أنصارية» المحاذية للشاطئ في جنوب لبنان (في ١٩٩٧/٩/٤) والتي قضت المقاومة فيها على جميع جنود النخبة الذين شاركوا في هذه العملية، وبلغ عددهم حوالي خمسة عشر جنديًا إسرائيليًا. وقد احتفظت المقاومة بأشلاء العديد من هؤلاء الجنود. الذين تم تبادلهم لاحقًا في ١٩٩٨/٦/٢٥ مع رفات أربعين شهيدًا للمقاومة بينها ثلاثون شهيدًا للمقاومة الإسلامية[٥]، وهي المرة الأولى في تاريخ إسرائيل التي

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تواجه فيها مثل هذا النوع من الفشل في عمليات مماثلة.

ج- اعتمدت المقاومة الأساليب النفسية والمعنوية الحديثة في عملية التأثير سواء على الرأي العام المدني والعسكري في صفوف العدو. فقد تمكنت المقاومة في إطار جهاز سري أطلق عليه «الإعلام الحربي» يخضع أفراده لدورات خاصة عسكرية وعقائدية وفنية[٦] من تصوير مباشر لمعظم عملياتها ضد جنود الاحتلال وعملائه. ونقلت صورًا حية لعمليات اقتحام المواقع وتثبيت راياتها فوق الدشم والتحصينات. وعمدت المقاومة في الإطار نفسه، إلى نصب كمائن إعلامية للعدو، فوزعت على سبيل المثال في ١٩٩٨/٢/٢٧ شريطًا مصورًا عن سير عملية اقتحام موقع «بئر كلاب». إلا أن قائد وحدة الارتباط في جيش الاحتلال إيرز غورشتاين ادعى أن المقاومين لم يدخلوا الموقع، فعادت المقاومة ووزعت شريطا جديدًا يتضمن تفاصيل اقتحام الموقع ودخول المقاومين إليه ورفع الرايات فوق دشمه. وقد تكررت الخدعة الإعلامية نفسها مع اقتحام موقع «الدبشة» في ١٩٩٨/٥/١٢ وموقع «حداثا» في ١٩٩٨/٧/٢[٧]. كما نظمت المقاومة وعلى مستوى آخر، وفي مناسبات مختلفة زيارات إعلاميين ورؤساء بلديات ومحافظين إلى مواقعها[٨].

واستخدمت المقاومة شبكة الإنترنت لتبث بواسطتها أخبار عملياتها ورسائلها المختلفة إلى أنحاء العالم كافة. وخصص تليفزيون المنار، (أحد وسائل إعلام المقاومة إلى جانب إذاعة النور)، على الشبكة نفسها صفحة خاصة تهتم بأخبار المقاومة الإسلامية، وتتضمن نصوصًا حول المقاومة وعملياتها باللغتين العربية والإنجليزية. والعنوان على الشبكة هو التالي: http://www.almanar.com.Ib [٩]. ومثل هذا الاستخدام للتقنيات الحديثة ولتصوير العمليات يحصل لأول مرة في تاريخ المقاومة ضد الاحتلال في لبنان.

د- تجنبت المقاومة الصدامات والمعارك الجانبية مع المنظمات والحركات السياسية والعسكرية التي كانت تعج بها الساحة اللبنانية قبل الاجتياح الإسرائيلي في ١٩٨٢ وبعده. كما تجنب حزب الله (الإطار السياسي للمقاومة) مثل هذه المواجهة مع السلطة اللبنانية، معتمدًا استراتيجية العنف على جبهة المواجهة مع العدو، والتهدئة على الجبهة الداخلية[١٠]. وقد تجنب بسب هذه الاستراتيجية التورط في صدام مع الجيش اللبناني في ١٣ أيلول / سبتمبر ١٩٩٣ إثر توقيع اتفاق أوسلو، بعدما أطلق الجيش النار على تظاهرة شعبية سلمية لحزب الله، خرجت تندد بالاتفاق، وسقط في خلالها ثمانية قتلى

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وعشرات الجرحى من المتظاهرين. لا بل تحولت العلاقة مع الجيش، في السنوات اللاحقة إلى علاقة تعاون وتنسيق، تحصل أيضًا لأول مرة في تاريخ المقاومة في لبنان، ما أدى إلى كشف العديد من العملاء ومن الشبكات الأمنية المرتبطة بالعدو، ومحاكمة من قبض عليهم أمام القضاء اللبناني. وقد أثار كشف هذه الشبكات انتقادات حادة في الأوساط الإسرائيلية عبر عنها عضو الكنيست «جدعون عيزرا» ، وهو مسئول سابق في جهاز الشاباك، الذي قال في مقابلة مع الإذاعة التابعة لجيش الاحتلال -إنه من الصعب التصديق أن يتم كشف شبكة إسرائيلية بهذا الحجم، الأمر الذي يدل على فشل التخطيط والتنفيذ{١١}. وقد عبر أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله عن هذا المستوى من التعاون، أثناء تبادل رفات الشهداء بأشلاء القتلى من الجنود الإسرائيليين، بقوله: -أن يحمل ضباط وجنود الجيش اللبناني نعوش المقاومين ويعزفوا لهم نشيد الموت ويؤدوا لهم تحية السلاح، لهو أمر بالغ الدلالة يجب أن يفهمه اللبنانيون ويفهمه العدو والعالم كله. وأن تمتزج دماء شهداء الجيش في لبنان بدماء شهداء المقاومة، فهذا أمر يغضب إسرائيل وأمريكا ويزعجهم ويؤلمهم . . .{١٢}. واستقبل السيد حسن نصر الله ممثل قائد الجيش إميل لحود على رأس وفد عسكري قدم التعازي بالشهداء العائدين والتهاني بعودة الأسرى{١٣}.

وعلى الرغم مما حصل من صدام مع تنظيمات أخرى (كحركة أمل بشكل رئيسي) فقد بقي استثنائيًا ولم يبدل خيار المقاومة في إعادة تصويب أهدافها لقتال جنود العدو وعملائه. ومن يعرف حال التشرذم والفوضى والتنافس التي كانت سائدة في لبنان بين المنظمات والأحزاب اللبنانية والفلسطينية، قبل الاجتياح الإسرائيلي في ١٩٨٢ وبعده، يدرك إلى أي مدى شكل هذا الخيار الاستراتيجي عنصرًا أساسيًا في حفظ المقاومة واستمرارها وفي الالتفاف الوطني اللاحق حولها.

ه- بذلت المقاومة جهدًا مكثفًا لضرب الميليشيات العميلة (جيش لبنان الجنوبي) وتحطيم معنوياتها. وقد شهد عام ١٩٩٨ مجموعة من العمليات الناجحة والنوعية استهدفت فيها المقاومة قادة هذه الميليشيات وأكثر من مسئول أمنى فيها. «وقد بثت إذاعة العدو تقريرًا لمندوبها السياسي أشار إلى القلق والتوتر اللذين يسودان قيادة الميليشيات اللحدية في أعقاب المعلومات التي تحدثت عن قرب انسحاب جيش الاحتلال من المنطقة المحتلة»{١٤}. كما نشرت الصحف أنباء خلافات نشبت بين قيادتي الأجهزة الأمنية والأخرى العسكرية في ميليشيا العملاء على خلفية اتهامات

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

متبادلة بين الطرفين عن التقصير الذي أدى إلى نجاح عمليات المقاومة الإسلامية [١٥]. وقد فرضت قوات الاحتلال حصارًا محكمًا على ميناء الناقورة في محاولة للحد من عمليات الفرار التي يقوم مسئولون في العملاء[١٦]. وإلى جانب الضربات العسكرية المباشرة للعملاء، اعتمدت المقاومة وسائل الترغيب عبر تشجيع الفرار من هذه الميليشيات، وعبر ما سمته فتح «باب التوبة» لمن يريد أن يستسلم إلى السلطات اللبنانية أو إلى المقاومة كما قدمت مشروعًا بهذا الصدد في مجلس النواب اللبناني. وقد نجم عن هذه الجهود المكثفة التي تصاعدت في عام ١٩٩٨ انسحاب العملاء من منطقة جزين في ١٩٩٩ ومن مناطق أخرى من جنوب لبنان.

وسائل الحشد والتعبئة:

في مرحلة الاحتلال الشامل الذي غطى معظم الأراضي اللبنانية بعد اجتياح ١٩٨٢ بما فيها العاصمة بيروت، اعتمدت المقاومة أسلوبين متكاملين: التعبئة الشعبية والعمليات العسكرية على غرار حرب العصابات التي أشرنا إليها. أما بعد الانسحاب الجزئي عام ١٩٨٦ إلى ما بات يعرف بالشريط الحدودي المحاذي للحدود مع الدولة العبرية، فقد اقتصرت المقاومة على العمليات العسكرية دون الحشد الجماهيري. وانتقلت في هذه المرحلة بين ١٩٨٦ و ١٩٩٩ إلى تعبئة إعلامية واسعة موجهة إلى الرأي العام اللبناني بمختلف اتجاهاته من خلال القناة التليفزيونية (المنار) التي تملكها، وكذلك إذاعة (النور) وجريدة (العهد) الأسبوعية التابعتين لها، لتبث عبرها أخبار العمليات وخطب المسئولين، والتوجيه الديني والثقافي والسياسي، وتاريخ الاحتلال وجرائم العدو ومجازره.

أما أساليب الحشد والتعبئة التي استخدمتها في المرحلة الأولى من عمليات المواجهة مع الاحتلال أى بين ١٩٨٢ و ١٩٨٦ فتركزت في المناطق اللبنانية المحتلة أساسًا، وكانت ذات طابع ديني مباشر في بيئة يشكل الدين فيها مكونًا رئيسيًا من مكونات شخصيتها وتاريخها. كما استفادت المقاومة بدورها من مناخ التعبئة الدينية الرافض للاحتلال والمحرض على المواجهة الذي أشاعه كثير من العلماء في المساجد وأحياء القرى، حتى قبل ولادة المقاومة الإسلامية أو الإعلان عن وجودها وهويتها. فقد حصل أول احتجاج وتحرك جماهيري في إحدى قرى الجنوب المحتل {جبشيت} في آذار / مارس ١٩٨٣ بسبب اعتقال سلطات اعتقال إمامها الشيخ راغب حرب، ثم توسع هذا التحرك ليشمل كل القرى المجاورة، مما اضطر سلطات الاحتلال إلى إطلاقه قبل أن تعود إلى اغتياله بعد أشهر، فعمت الاضطرابات والتظاهرات أغلب المناطق اللبنانية. «وكان أئمة القرى يوجهون أبناءها في التظاهر أو سد منافذ القرى بالإطارات المشتعلة والحجارة والتصدي لمحاولات دخولها. وبعد كل موجة احتجاج يُعقد

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

اللقاء الموسع للهيئة العلمائية التي تصدر بياناً حول التطورات تحدد فيها الخطوات المقبلة»[١٧]. وفي خطب الجمعة دعا العلماء إلى مقاطعة البضائع الإسرائيلية التي بدأت تغزو الأسواق، وإلى التصدي للمتعاملين مع العدو، وإلى عدم الانجرار وراء مشاريع روابط القرى التي أراد الاحتلال تشكيلها، ثم كرروا مثل هذه المواقف عند توقيع لبنان اتفاق ١٧ أيار / مايو عام ١٩٨٤ مع إسرائيل.

وفي ظل أجواء التعبئة الدينية التي استعادت تاريخ شهداء الإسلام، والإمام الحسين، والوقوف ضد الظلم، وموقع الشهيد ومكانته السامية في الإسلام، إلى تاريخ الجهاد في جبل عامل (جنوب لبنان) ضد الاحتلال الفرنسي، تجرأت الجموع في أكثر من قرية، كما حصل عام ١٩٨٣ في إحدى المناسبات الدينية (عاشوراء) في مدينة النبطية في جنوب لبنان، وهاجمت قافلة إسرائيلية بالحجارة وأحرقت بعض سياراتها، ما أدى إلى محاصرة المدينة واعتقال شبابها. وكانت المساجد والحسينيات هي أمكنة التجمع واللقاء والحصون التي يحتمي بها الناس عند دخول القوات الإسرائيلية إلى البلدات والقرى. وقد عمدت قوات الاحتلال عام ١٩٨٥ إلى تفجير إحدى هذه الحسينيات في بلدة معركة في منطقة صور في جنوب لبنان على من فيها مستهدفة بذلك ناشطين أساسيين من شبان المقاومة هما محمد سعد وخليل جرادى، كانا ينتميان إلى حركة أمل.

تأثير المقاومة على العدو:

إثر تصاعد عمليات المقاومة طيلة السنوات الماضية، وعدم تمكن جيش الاحتلال من تجنب الضربات القاسية التي وجهت إلى بعض قادته الميدانيين وجنوده، بدأت الأصوات السياسية والعسكرية في إسرائيل تطالب بالانسحاب من جنوب لبنان. وعلى الرغم من عمليتين عسكريتين واسعتين شنهما جيش الاحتلال في ١٩٩٣ وفي ١٩٩٦ على لبنان، لم يتمكن من إضعاف قدرة المقاومة أو التأثير على نوعية عملياتها. وقد تصاعد الحديث بقوة عن هذا الانسحاب خلال العام ١٩٩٨، واضطر قادة الاحتلال، ولأول مرة، إلى الاعتراف بالقرار ٤٢٥ الذي ينص على انسحابهم من لبنان بدون قيد أو شرط. وقد أعرب رئيس الحكومة الأسبق بنيامين نتنياهو عن استعداده -لقبول هذا القرار شرط التوصل إلى اتفاق مع لبنان يضمن تطبيق تدابير أمنية . . . لأن الانسحاب من جانب واحد غير وارد{. كما اعتبر وزير الدفاع في ذلك الوقت «إسحاق موردخاى» -أنه حتى نخرج من لبنان يجب وضع حد للإرهاب والعنف عبر منع شن هجمات انطلاقاً من الأراضي اللبنانية، وإقامة علاقات جيدة وطبيعية على جانبي الحدود، وتعاون بين الجيشين الإسرائيلي واللبناني{[١٨]. أما منسق الأنشطة الإسرائيلية في لبنان «أورى لوبرانى» فقال مؤكداً: -إننا مستعدون للخروج من لبنان دون اتفاق سلام أو تطبيع . . نريد ضماناً واحداً فقط هو نزع سلاح حزب الله. . وعدم التعرض لأفراد جيش لبنان الجنوبي وعندها سننسحب دون

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

شروط{[١٩]. وفي الإطار نفسه تظاهر آلاف من المستوطنين في مناسبات مختلفة للمطالبة بالانسحاب من جنوب لبنان. وقامت حركة «الأمهات الأربع» التي تضم الآلاف من أمهات الجنود الإسرائيليين بجمع أكثر من عشرين ألف توقيع لزوجات المسئولين من الذين عملوا في المنطقة المحتلة في إطار جيش الاحتلال[٢٠]. وأظهرت استطلاعات الرأي في إسرائيل أن نسبة الذين يؤيدون الانسحاب من جانب واحد تضاعفت خلال ستة شهور لتصل إلى ٤٠%[٢١]. كما نقلت وكالة «الأسوشيتدبرس» من القدس أن مجموعة من ضباط الاحتياط الإسرائيليين الكبار، تضم ألف ضابط دعت إلى الانسحاب من جنوب لبنان من طرف واحد[٢٢].

وتزامنت مع هذه الدعوات العسكرية والسياسية والشعبية إلى الانسحاب من جنوب لبنان، مشاريع مماثلة على المستوى الإسرائيلي الرسمي. فقد قدم إيهود باراك، قبل وصوله إلى رئاسة الحكومة، عندما كان لا يزال رئيسًا لحزب العمل، وفي خلاله زيارة له إلى واشنطن، خطة للانسحاب من جنوب لبنان تقوم على انسحاب تدريجي من المناطق الأبعد عن الحدود، كامتحان لبضعة أسابيع، وعندما يثبت الجيش اللبناني أنه قادر على السيطرة على المنطقة يتم الانسحاب من منطقة أخرى، (على سفح جبل الشيخ باعتبارها بعيدة عن خط النار المباشر بين سوريا وإسرائيل)، ومن ثم تتوالى الانسحابات من المناطق الأخرى، وضم الميليشيا المتعاملة إلى الجيش اللبناني، ولكنه استبعد تنفيذ هذه الخطة قبل استئناف المفاوضات مع سوريا[٢٣]. وقد اضطر جيش الاحتلال إلى سحب قوات العملاء من منطقة جزين القريبة من مدينة صيدا الجنوبية في مطلع عام ١٩٩٩. واستمرت تصريحات القادة العسكريين في التأكيد على صعوبة مواجهة المقاومة أو تحقيق انتصار عليها. فها هو «موشيه سكنيل» أحد أركان جيش الاحتلال يقول في مقابلة له مع القناة الثانية في التليفزيون الإسرائيلي: -إن كل الوسائل العسكرية جربت، وهذا أفضل ما نستطيع تحقيقه من نتائج. . .{ أما رئيس الأركان «أمنون شاحاك» فيرد على سؤال الصحافيين: كيف تفسر عدم انعكاس التفوق النوعي للجيش الإسرائيلي في مواجهة حزب الله في جنوب لبنان؟ فيردد: -إننا نخوض هناك حربًا حقيقية أمام عدو صلب يملك في كثير من الأحيان عناصر تفوق لا نملكها نحن{[٢٤].

ولا يزال مشروع الانسحاب من جنوب لبنان موضع تجاذب داخلي في إسرائيل بين من يؤيده بدون اتفاق مع لبنان أو مع سوريا وبين من يشترط الانسحاب باتفاق يضمن الأمن على الحدود.

ويعيش لبنان والمنطقة بعد أشهر من وصول «إيهود باراك» إلى رئاسة الحكومة الإسرائيلية، مرحلة دقيقة وخطيرة نظرًا إلى انسداد آفاق استئناف التفاوض على المسار السوري، ونظرًا إلى التهديد الإسرائيلي بالانسحاب من جنوب

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

لبنان من طرف واحد، ما يعني محاولة إسرائيل تغيير المعادلة في جنوب لبنان، وجعل الوضع مفتوحًا على الاحتمالات كافة.

المحاولات الإسرائيلية للقضاء على المقاومة:

شنت إسرائيل عدوانين واسعين على لبنان في عامي ١٩٩٣ و١٩٩٦ من أجل هدفين اثنين: توجيه ضربة قاسية إلى المقاومة الإسرائيلية ينجم عنها تغيير لـ «قواعد اللعبة في جنوب لبنان» واستتباب الأمن على الحدود الشمالية لفلسطين المحتلة. والثاني إرغام لبنان على التفاوض مع إسرائيل بشكل منفصل عن المسار السوري. وقد استمر العدوان الأول (تموز / يولية ١٩٩٣) سبعة أيام متواصلة تعرض فيها الجنوب لعمليات عسكرية واسعة نفذ في خلالها الجيش الإسرائيلي حوالى ٣٠٠ إغارة وأطلق ما يقارب ٣٠ ألف قذيفة [٢٥]. أدت إلى نزوح عشرات الألوف من المدنيين إلى العاصمة بيروت.

وترافقت تلك العمليات العسكرية وحالات النزوح مع تصعيد سياسي إسرائيلي من خلال التصريحات التي أطلقها إسحاق رابين رئيس الوزراء، وشيمون بيريز وزير الخارجية، وإيهود باراك رئيس الأركان، وكلها تدعو الحكومة اللبنانية إلى~ السيطرة على «حزب الله» ومنع إطلاق الكاتيوشا . . . وإلى نزع سلاحه . . . وإلى منعه من العودة إلى مواقعه في الجنوب . . .{[٢٦]}.

لكن هذه العملية الواسعة أفضت، بعد مفاوضات شاقة في دمشق شاركت فيها أمريكا وفرنسا وإيران ولبنان، إلى ما سمي في حينه تفاهم تموز / يوليو، تعهد بموجبه الطرفان (المقاومة، والجيش الإسرائيلي) شفهيًا (تفاهم غير مكتوب) بعدم التعرض للمدنيين. واستمرت عمليات المقاومة، كما كانت عليه بعد هذا التفاهم.

أما العدوان الثاني (عملية عناقيد الغضب) فحصل في نيسان / أبريل ١٩٩٦ في عهد رئيس الحكومة الإسرائيلية شيمون بيريز وبعد سنة من اغتيال إسحاق رابين. أما الأهداف والوسائل الإسرائيلية فكانت هي نفسها: غارات جوية كثيفة على القرى لدفع السكان إلى النزوح، وارتكاب المجازر لترويع المدنيين، وتوجيه ضربة قاسية إلى بنية المقاومة العسكرية في الجنوب. ووقف إطلاق الكاتيوشا على سكان المستعمرات. لكن هذا العدوان، الذي حصلت فيه مجزرة قانا الشهيرة، انتهي بدوره، وبعد تدخل دولي ووساطات أمريكية وفرنسية إلى تفاهم جديد سمى «تفاهم نيسان». ولكنه كان مكتوبًا هذه المرة. ونصت بنوده على أن تلتزم المقاومة والمتعاونون معها عدم إطلاق الكاتيوشا إلى داخل إسرائيل، وعلى أن تلتزم إسرائيل والمتعاونون معها عدم إطلاق أي نوع من السلاح على المدنيين أو الأهداف المدنية في لبنان، وقد حققت المقاومة اعترافًا دوليًا مباشرًا بشرعية قتالها ودورها في الدفاع عن السكان ضد الاحتلال من خلال ما ورد في البند الرابع

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

من التفاهم الذي اعتبر -أنه بدون خرق هذا التفاهم لا يوجد ما يمنع أي طرف من ممارسة حق الدفاع عن النفس{[٢٧].

وهكذا انتهت هذه العملية بدورها وسط انتقادات إسرائيلية لها بدون أن تحقق الأهداف التي شُنت لأجلها. لا بل كان أحد ثمار فشلها سقوط بيريز في انتخابات رئاسة الحكومة. كما أن المقاومة استأنفت عملياتها بعد ذلك وتراجعت الاعتداءات الإسرائيلية على المدنيين. وعادت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة برئاسة بنيامين نتنياهو، ثم برئاسة إيهود باراك تواجه المعضلة نفسها في جنوب لبنان.

مجتمع المقاومة:

وجدت المقاومة الإسلامية نفسها بعد سنوات من المواجهة أمام أعباء تتجاوز تقنيات التدريب والحصول على التجهيزات العسكرية والفنية الضرورية للقتال. ذلك أن هذا النوع من المواجهة المتواصلة منذ سبعة عشر عامًا فرض على المقاومة الاهتمام برعاية أسر الشهداء، وعلاج الجرحى والمعوقين، وبناء ما يدمره الاحتلال من بيوت ومؤسسات ودور عبادة. وقد أصبحت الاستجابة لهذه الأعباء جزءًا من عمل المقاومة اليومي ومن الخدمات التي تقدمها للمجتمع الذي تنتمي إليه.

هكذا بدأت تظهر تباعًا المؤسسات الصحية والاجتماعية والتربوية. فمؤسسة «جهاد البناء» تضم مهندسين وفنيين وعمال، مهمتها منذ ١٩٨٨ مسح الأضرار الناجمة عن الاعتداءات الإسرائيلية، وترميم وإعادة بناء ما تهدم من منازل، إلى حفر الآبار والملاجئ والمساهمة في بناء المستوصفات والمدارس وإعداد الدورات التدريبية الزراعية[٢٨]. وعملت هذه المؤسسة على استيراد وتقديم الأدوية الزراعية والأسمدة الكيماوية للمزارعين بأسعار تشجيعية عبر تعاونياتها المنتشرة في مختلف المناطق اللبنانية. كما قدمت خدمات بيطرية في الجنوب والبقاع عبر مركز الطب البيطري التابع للمؤسسة، وتوزيع حوالي ١٢٠ ألف نصبة مثمرة وحرجية . . .[٢٩]. وكذلك فعلت «الهيئة الصحية الإسلامية» في مجال الخدمات الطبية في حالتي الحرب والسلم منذ إنشائها في عام ١٩٨٤. فعملت على نشر مراكزها ومستوصفاتها الثابتة والنقالة ومستشفياتها في المناطق الفقيرة بحيث بلغ عدد فروعها في بيروت والبقاع والجنوب حوالي ٤٧ فرعًا. وفي موازاة العمل العلاجي قامت الهيئة بحملات تلقيح ضد شلل الأطفال سنويًا بالتعاون مع وزارة الصحة ومنظمة اليونيسيف. ونظمت دورات تثقيفية على مستوى الإسعاف الصحي الأولي، خصوصًا في المناطق المواجهة لمواقع الاحتلال الصهيوني. وتفيد الإحصاءات الصادرة عن هذه الهيئة أن عدد المستفيدين من خدماتها بلغ في ١٩٩٨ حوالي ٤١٦٩٢٦ مستفيدًا، وأشرفت على إقامة ١١٤ ندوة صحية وبلغ عدد المتخرجين من دورات التثقيف ٣٥٠ خريجًا، ومن دورات الإسعافات الأولية ٧٧٨ خريجًا. كما بلغت تقديمات جهاز الدفاع المدني في هذه الهيئة حوالي ٧٣٥٣

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

حالة، وشاركت الهيئة الصحية في ٤٩ ورشة عمل في لبنان والخارج[٣٠]. أما «جمعية مؤسسة القرض الحسن» فتأسست في ١٩٨٢ وهدفها «إحياء القروض المالية اللاربوية وتقديمها للمحتاجين». وتعمل «جمعية الإمداد الخيرية الإسلامية» التي تأسست في ١٩٨٧ من أجل «الوصول إلى اكتفاء العوائل ذاتيًا ورفع مستواها التربوي والعلمي ورعاية العجزة وتكفل الأيتام». وتهدف «مؤسسة الشهيد» إلى الاهتمام التربوي والتعليمي والاجتماعي بأسر الشهداء من خلال متابعة أوضاعهم وهم في داخل أسرهم عبر العلاقة المتواصلة مع المؤسسة والعاملين فيها.

أما «المؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم» فحديثة العهد نسبيًا إذ يعود تأسيسها إلى عام ١٩٩٣. وهي أيضًا عملت على تأسيس المدارس في معظم المناطق اللبنانية، لرعاية أبناء الشهداء وتعليمهم وإعدادهم إعدادًا عقائديًا إسلاميًا[٣١] وقد بلغت المساعدات التي قدمتها هذه المؤسسة، وفق بيانها السنوى، ما يفوق أربعة ملايين دولار استفاد منها ١٦٦٧٩ تلميذاً في الجنوب والبقاع وبيروت من خلال مساعدات عينية ونقدية، وحسومات ومنح مدرسية.[٣٢]. كما شجعت المقاومة ودعمت هيئات أهلية مؤيدة لها «كهيئة دعم المقاومة الإسلامية» التي قامت بحملات لجمع التبرعات، والتبرع بالدم، وعقد الندوات، وأقامت المعارض في المناطق المختلفة للتعريف بأهداف المقاومة وتبليغ رسالتها وحشد التأييد لها، وخصوصًا في أوقات العدوان، أو في أثناء العمليات الكبيرة التي تقوم بها ضد قوات الاحتلال.

هكذا باتت المقاومة جزءًا من «المعادلة» الاجتماعية - السياسية في لبنان وبعد مضى سنوات على انطلاقتها. وتجنبت بذلك أن تبقى حالة عسكرية خاصة. وسوف يساعد هذا الخيار الاجتماعي - السياسي للمقاومة على بلورة سياسات «التكيف» التي اعتمدتها في مواجهة التحولات السياسية الداخلية من دون أن تبدل أولوياتها في القتال الدائم لجيش الاحتلال.

سياسات المقاومة:

على الرغم من الإعلان عن تأسيس «حزب الله» كحزب سياسي له برنامج محدد وأهداف محلية ورؤية إقليمية ودولية في عام ١٩٨٥، أي بعد فترة وجيزة (ثلاث سنوات) من انطلاقة المقاومة الإسلامية ضد الاحتلال، بقي الهاجس الأمني والعسكري مسيطرًا على عمل الحزب بما هو «حزب المقاومة» . لكن التطورات اللاحقة التي حصلت في لبنان مع توقيع «اتفاق الطائف» عام ١٩٨٩ الذي انتهت بموجبه الحرب الأهلية، واستعاد لبنان مؤسساته الدستورية، شجعت «حزب الله» وبعد نقاشات واسعة في صفوفه، على الدخول إلى معترك الحياة السياسية العلنية والشرعية في لبنان. وكان هذا الخيار إيذانًا ببداية انتقال «حزب المقاومة» إلى التقليد الذي عرفته الأحزاب الإسلامية الأخرى. أي أن المقاومة الإسلامية

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أصبحت مثابة ذراعه العسكري وهو حزبها السياسي.

لقد بدأت المقاومة عملها العسكري في ١٩٨٢، ثم أعلن رسميًا عن ولادة حزب الله في ذروة الاحتلال، وبعد توقيع اتفاق سلام (١٧ آيار / مايو ١٩٨٥) بين لبنان وإسرائيل. أي أن انطلاقة المقاومة وتأسيس حزب الله حصلا في ظروف تقلصت فيها سلطة الدولة اللبنانية إلى حدودها الدنيا، وبات مصير الكيان اللبناني نفسه مهددًا بسبب الاحتلال الذي وصل إلى العاصمة بيروت، ناهيك عن وجود القوات المتعددة الجنسيات على الأرض اللبنانية. بالإضافة إلى التطورات التي غيرت المعادلة الإقليمية برمتها مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩. هكذا تأثر حزب الله، بالظروف التي أحاطت بنشأته. فنادى بالجمهورية الإسلامية، وبتحرير القدس، وبالتواصل مع جميع مسلمي ومستضعفي العالم، كما جاء في رسالته المفتوحة التي أعلن فيها ولادته وبرنامجه في عام ١٩٨٥.[٣٣] وقد وجد حزب الله نفسه بعد اتفاق الطائف الذي أيده وتحفظ على بعض ما جاء فيه، وبعد عودة الشرعية الدستورية إلى المؤسسات في لبنان، أمام معادلة جديدة لم تكن جزءًا من الصورة التي ارتسمت أمامه حين ولادته، وحين انطلاق مقاومته ضد الاحتلال عام ١٩٨٢. وقد اختار «حزب الله» أن يتكيف مع هذه التحولات لمصلحة ما كان يراه "أولوية الحفاظ على المقاومة" . هكذا بدأت ترتسم شيئًا فشيئًا سياسته الداخلية، بدءًا من قرار المشاركة في أول انتخابات نيابية بعد الحرب الأهلية عام ١٩٩٢، والتي حصل فيها على أكبر كتلة حزبية (١٢ مقعدًا)، ثم المشاركة في الدورة النيابية التالية (١٩٩٦)، وفي انتخابات النقابات والاتحادات العمالية والطلابية والمهنية، ونقابات المهندسين والأطباء. كما فتح الحزب أبواب الحوار مع الهيئات والشخصيات الروحية المسيحية، وساهم في اللقاء والتنسيق مع الأحزاب والقوى السياسية الأخرى والقومية والوطنية في تشكيل جبهة لدعم المقاومة، إلى مواقفه من الحكومات اللبنانية التي تراوحت بين النقد الشديد لسياسات بعضها، والمهادنة مع بعضها الآخر، دون أن يمنعه ذلك من القبول المبدئي للمشاركة في أية حكومة "إذا وجد ذلك مناسبًا".

أي أن «حزب الله» كتنظيم سياسي يعبر عن المقاومة الإسلامية ضد إسرائيل اختار التكيف مع بنى النظام القائم، والانخراط في أولياته من أجل "تعديل النظام الطائفي والعمل لإلغاء الطائفية السياسية وبناء دولة القانون والمؤسسات".[٣٤] ومن أجل «حماية المقاومة» وتشكيل أكبر حشد ممكن من التأييد لها. ولم يكن لمثل هذه السياسة أن تحظى بقبول أو ثقة جميع الأطراف في لبنان. فقد اتُّهم «حزب الله» تارة بأنه يستخدم ورقة المقاومة لتعزيز رصيده السياسي أو الانتخابي، وتارة بأنه يهادن السلطة ولا يحزم أمره في مواجهتها. ولم يتردد البعض في اتهامه بأنه أداة لقوى إقليمية سورية أو إيرانية.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

لقد استقرت الرؤية الاستراتيجية لحزب الله بما هو «حزب المقاومة» على المعادلة التالية:

أولًا: تصعيد وتشدد في قتال العدو على الجبهات الحدودية لتحرير الأراضي المحتلة.

ثانيًا: مرونة واعتدال في الداخل في التعاطي مع السلطة، وتعاون مع باقي القوى والأحزاب والطوائف.

ويمكن أن نفهم مثل هذه «المرونة» السياسية أيضًا في أثناء عملية التبادل لأشلاء الجنود الإسرائيليين الذين سقطوا في عملية أنصارية، برفات الشهداء من المقاومة الإسلامية، عندما وافقت قيادة المقاومة على الوساطة الفرنسية، إذ يعلل أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله ذلك بأن «فرنسا تمارس سياسة شرق أوسطية متوازنة عمومًا ومتمايزة عن الأمريكيين ولعبت دورًا مهمًا في إنجاز تفاهم نيسان، وهي وسيط يمكن أن يقدم ضمانات مهمة، ولديه علاقات وصداقات إقليمية ودولية كبيرة تمكنه من إنجاح الوساطة».[35]

وقد سمحت مثل هذه السياسة لحزب الله بتقليص الفجوة بين المقاومة وبين اللبنانيين عمومًا. خصوصًا وأن تجربة المقاومة الفلسطينية لم تكن نموذجًا يرغب اللبنانيون في تكراره أو استعادته، وبتجاوز المرحلة التي فرضها انغلاق الحزب الأمني والعسكري في بداية تأسيسه. كما سمحت هذه السياسة نفسها بتطوير علاقته بسوريا والانتقال بها من موقع التحفظ إلى موقع الثقة والدعم. الأمر الذي شكل بعدًا داخليًا وإقليميًا في حماية المقاومة، نظرًا إلى طبيعة العلاقة بين لبنان وسوريا في هذه المرحلة. هذا دون أن نغفل بطبيعة الحال علاقة حزب الله بإيران سواء على مستوى العلاقة مع المرجعية أو على مستوى الدعم والتأييد الرسمي والمباشر للمقاومة.

لكن هذا الانفتاح السياسي - الاجتماعي الذي سمح «لحزب المقاومة» بطرح العديد من الرؤى السياسية على مستوى البلديات واللامركزية الإدارية وقانون الانتخاب، لم يترافق مع ما يماثله على المستوى الثقافي. فبقيت موضوعات سجالية كثيرة مثل قضايا المرأة، والديمقراطية، والحريات، وحقوق الإنسان، والعولمة، والليبرالية، والقومية، وسواها من دون مناقشة في أدبيات الحزب ووسائله الإعلامية.

لكن ما تنبغي الإشارة إليه هو أن «حزب الله» وأجهزة المقاومة الأخرى ومؤسساتها الاجتماعية والتربوية والنقابية، وعلى الرغم من نفوذهم الواسع في مناطق كثيرة من لبنان تجنبوا «إغراء» مقولات «أسلمة المجتمع» أو حتى الدعة إليها. فوفرت بذلك المقاومة على نفسها وعلى الآخرين، ما وقعت فيه بعض حركات «التكفير» الإسلامية من عزلة أو من عنف مدمر كما حصل في مصر أو في الجزائر. وقد توج حزب الله هذا التمييز بين أولوية المقاومة وبين مواجهة السياسات الحكومية الداخلية، بالدعوة إلى تصالح الأنظمة والحركات الإسلامية على قاعدة مواجهة المشاريع الإسرائيلية، منتقدًا «الإسلاميين» الذين لا يقيمون مثل هذا التمييز، كما جاء على لسان

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أمينه العام السيد حسن نصر الله في الذكرى الأسبوعية لاستشهاد نجله هادي في (١٩٩٧/٩/١٨) الذي سقط في عملية مواجهة ضد دورية إسرائيلية في جنوب لبنان.[٣٦]

مستقبل المقاومة:

استهدفت إسرائيل في خلال عدوانين واسعين على لبنان بين تموز/ يوليو ١٩٩٣ ونيسان / أبريل ١٩٩٦ ضرب المقاومة الإسلامية والقضاء عليها. وإذا كان بعض العوامل الداخلية في إسرائيل كالانتخابات، أو الإقليمية كتعثر التفاوض على المسار السوري - الإسرائيلي، قد دفع لشن مثل هذين العدوانين، فإن المقاومة بالمقابل نجحت هي الأخرى في الأعوام الماضية في توجيه ضربات قاسية إلى «جيش لبنان الجنوبي» (ميليشيا العملاء) مهدت لإضعافه وتفكيكه بحيث بات عبئًا على القيادة العسكرية الإسرائيلية في الجنوب وليس مدافعًا عنها كما هو مفترض. كما أن عدد الجنود الإسرائيليين الذين سقطوا بين قتيل وجريح من جراء عمليات المقاومة، شكل هو الآخر دافعًا للقيادة الإسرائيلية لاتخاذ قرارها بشن حرب واسعة مرتين -للتخلص من المقاومة وتغيير قواعد اللعبة في جنوب لبنان في أقل من ثلاث سنوات{ كما كان هذا الدافع نفسه خلف القرار الإسرائيلي بالرغبة في الانسحاب من جنوب لبنان سواء باتفاق مع لبنان وسوريا، أو بانسحاب من طرف واحد. وقد اعترفت إسرائيل على لسان قادتها السياسيين والعسكريين بعجزها عن تدمير المقاومة أو التخلص منها. وأدى استمرار العمليات وتصاعدها حتى بعد «التفاهمات» التي نجمت عن كل عدوان إلى أمرين متناقضين:

- إجماع وطني رسمي وشعبي حول المقاومة في لبنان.
- نقاش جدي في إسرائيل، يحصل لأول مرة في تاريخ احتلالها لأرض عربية حول جدوى البقاء في جنوب لبنان مقابل هذا الثمن الباهظ من الخسائر المادية والمعنوية التي لحقت بجيشها وبصورته الأسطورية.

لقد استطاعت المقاومة من خلال اندفاعها الديني، ومن خلال الأساليب النفسية والمادية والإعلامية التي استخدمتها، بالإضافة إلى نجاحها في توجيه ضربات مباشرة ومتلاحقة ضد جيش الاحتلال، أن تصبح جزءًا أساسيًا من التعقيدات التي تصطدم بها «عملية التسوية» في المنطقة. كما استطاعت هذه المقاومة أن تفرض على كثير من القوى الدولية والإقليمية أن تنظر إليها لا باعتبارها «إرهابًا» وفقًا للمنظور الإسرائيلي، بل «كمقاومة مشروعة ضد الاحتلال» وفقًا للمواثيق والأعراف الدولية. وأن تنظر إلى حزبها ليس كتنظيم «أصولي» بالمعنى الإعلامي السلبي بل كحركة من الحركات السياسية التي تعمل في إطار الدستور والشرعية.

إن استئناف التفاوض على المسار السوري - الإسرائيلي في واشنطن في ١٩٩٩/١٢/١٦ أعاد النقاش مجددًا حول مستقبل المقاومة ومستقبل حزبها بعد تحقق التسوية المرتقبة على

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المسار اللبناني. ومن المفترض أن يؤدي نجاح المفاوضات إلى انسحاب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان وبقاعه الغربي ما يعنى عمليًا «إنجاز مشروع المقاومة في تحرير الأرض» إلا أن هذا الاحتمال«الواقعي» لما ستصير إليه الأمور في المستقبل القريب لا يعنى أن توقف عمليات المقاومة سيؤدي بالضرورة إلى توقف حزبها هو الآخر، فقد نجح هذا الحزب في انتزاع مشروعية ومصداقية من محيطه اللبناني بأوساطه كافة: السياسية والاجتماعية والطائفية. كما أن المؤسسات الاجتماعية والتربوية والصحية التي واكبت نشاط المقاومة طيلة السنوات الماضية باتت جزءًا من النسيج الاجتماعي الأهلي في لبنان وتقدم خدماتها إلى عشرات ألوف المواطنين والمحتاجين. ولا يمكن شطب هذه المؤسسات مهما حصل من تحولات على المستويات العسكرية أو السياسية، ومهما كانت نتيجة المفاوضات التي تجرى في واشنطون. كما أن سياسة التكيف التي مارستها المقاومة من خلال حزب الله منذ بداية التسعينيات عبر المشاركة في الانتخابات النيابية والبلدية وفي النقابات المهنية المختلفة، جعلته هو الآخر جزءًا من الحياة السياسية اللبنانية «الشرعية».

أما إذا تحققت التسوية وانتهت حالة المواجهة المسلحة في جنوب لبنان ضد الاحتلال الإسرائيلي، فلا شك بأن المرحلة المقبلة ستشهد تبدلًا في أولويات المواجهة انطلاقًا من مواجهة التطبيع (كما هو مفترض) بأشكاله كافة، ولا شك بأن مثل هذه المقاومة هي الأقدر على الاستمرار، وربما الأقدر على قيادة المرحلة المقبلة أيضًا إلى ما تمتلكه من مخزون عقائدي ديني، وما تتمتع به من بنية تنظيمية متماسكة، ومن حيوية باتت مفقودة في معظم الأحزاب السياسية في المنطقة العربية والإسلامية.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

جدول رقم (١)

التفاوت في حجم العمليات بين المقاومة الإسلامية

والقوى الأخرى التي تشارك في مقاومة الاحتلال في جنوب لبنان.

الشهر	إجمالي العمليات	عمليات المقاومة الإسلامية	الفصائل الأخرى
كانون الثانى / يناير	١٧٥	١٢١	٥٤
شباط / فبراير	٢٠٠	١٥٠	٤٩
آذار / مارس	١٤٢	١١١	٣٠
نيسان / أبريل	١٥٧	١١٧	٣٩
آيار / مايو	١٩٦	١٤٢	٥٤
حزيران / يونيو	١٩٦	١١١	٥٨
تموز / يوليو	١١٣	٥٧	٥٤
آب/ أغسطس	٢٣٥	١٤٨	٨٧
أيلول / سبتمبر	٢٥٩	١٤٩	١١٠
تشرين الأول / أكتوبر	٢٣١	١٢١	١٠٨

المصدر: صفحات عز في كتاب الأمة . . مرجع سابق.

جدول رقم (٢)

إحصاء للعمليات العسكرية ولخسائر العدو وعملائه ولشهداء المقاومة

في الفترة من كانون الأول / يناير حتى تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٩.

المسئول عن العملية	إجمالي العمليات	خسائر العدو				خسائر العملاء				عدد الشهداء
		قتلى		جرحى		قتلى		جرحى		
		ع		م		ع		ع		
المقاومة الإسلامية	١٣٦٤	١٤	١	٩٧	١٠٠	٢٠	٢٣	٨٢	٨١	٣١
السرايا اللبنانية	١٤٢									
حركة أمل	٥٩٩			٢	٩			٤	١٥	
المقاومة الوطنية	٩									
الجهاد الإسلامي	٦									
منظمة الزويعة	٣									١

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

غير محدد أو حوادث	٧	١	١	١٣	١	١	١	٤	
المجموع	٢١٣١	١٥	١٥	١١٢	٢١	٢٤	٩١	١٠٠	٣٢

ع: اعتراف العدو **م: مصادر المقاومة**

جدول رقم (٣)

توزيع العمليات العسكرية ضد مواقع العدو الثابتة

وفق طبيعة الجهة المستهدفة خلال شهر تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٩

طبيعة الجهة / المسئول	المقاومة الإسلامية	السرايا اللبنانية
موقع	١٠٥	١٥
وحدة عسكرية	٢٣	–
دورية	٤	–
ثكنة	٢	–
آليات عسكرية	٢	–
تجمع	–	١
دبابة مير كافا	١	–

المصدر السابق

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الهوامش والمصادر

(١) راجع حسن فضل الله، حرب الإرادات، صراع المقاومة والاحتلال الإسرائيلي في لبنان، بيروت: دار الهادى، ١٩٩٧، (الفصل الثالث).

(٢) أرشيف المركز الاستشارى للدراسات والتوثيق، «بيانات عمليات المقاومة من ١٩٨٢/١/١ إلى ١٢١٩٩٦/٣١»، وكذلك «صفحات عز في كتاب الأمة»، بيروت: المركز نفسه، ١٩٩٩.

(٣) جريدة السفير، ١٩٩٧/١١/٤.

(*) نفذت السرايا اللبنانية منذ انطلاقتها في ١٩٩٨/٣/١٤ ولغاية ١٩٩٩/١١/١٥، ١٧٦ هجومًا عسكريًا تراوح بين القصف والاشتباك . . . راجع: علي فياض، «السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي» ، جريدة السفير، ١٩٩٩/١١/٢٦.

(٤) راجع: جريدة الحياة، ١٩٩٨/٣/١٦.

(٥) جريدة السفير، ١٩٩٨/٦/٢٦.

(٦) مقابلة مع أحد قادة المقاومة، حزب الله يكشف أسرار الإعلام الحربى في: جريدة الديار، ١٩٩٧/١٠/٢٥.

(٧) جريدة السفير، ١٩٩٨/٣/٣. وكذلك: جريدة النهار، ١٩٩٨/٧/٣.

(٨) الصحف اللبنانية في شهر ١٩٩٩/١١.

(٩) صفحات عز في كتاب الأمة، المرجع السابق، ١٩٩٩.

(١٠) راجع حول هذه الإستراتيجية: طلال عتريسى، «الإسلاميون والديمقراطية» قراءة في تجربة الحركات الإسلامية في لبنان من خلال نموذج حزب الله، (لندن، مجلة النور، العدد ٩٨، ١٩٩).

(١١) جريدة السفير، ١٩٩٨/٧/١٠، وقد نشرت مجلة البلاد الأسبوعية في بيروت في أعداد شهرى أيلول / سبتمبر وتشرين الأول / أكتوبر ١٩٩٩ تفاصيل واسعة ومعلومات مهمة عن هؤلاء العملاء.

(١٢) جريدة السفير، ١٩٩/٦/٢٩.

(١٣) جريدة السفير، ١٩٩٨/٧/١.

(١٤) جريدة السفير، ١٩٩٨/٣/٨.

(١٥) جريدة السفير، ١٩٩٨/١٠/٢٩ .

(١٦) جريدة السفير ١٩٩٨/٩/٢٦.

(١٧) حسن فضل الله، مرجع سابق، ص ١٠٠.

(١٨) جريدة النهار، ١٩٩٨/١/٥.

(١٩) جريدة الشرق الأوسط، ١٩٩٨/١/٨.

(٢٠) جريدة الديار، ١٩٩٨/١١/١٢.

(٢١) جريدة السفير ١٩٩٨/١١/٢٨.

(٢٢) جريدة النهار، ١٩٩٨/٢/٢٤.

(٢٣) جريدة السفير ١٩٩٨/٨/٧.

(٢٤) جريدة الحياة، ١٩٩٨/٣/٢.

(٢٥) راجع الصحف اللبنانية في ١٩٩٣/٧/٢٣.

(٢٦) نقلًا عن: جريدة هآرتس، ١٩٩٧/٧/٢٧.

(٢٧) راجع نص التفاهم كاملًا ف:ي «عملية عناقيد الغضب» حرب السلام الإسرائيلي في لبنان، بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ١٩٩٦، ص١١٨.

(٢٨) مقابلة مع الحاج حسين الشامى المسئول الاجتماعي المركزي في «حزب الله» مجلة حريات، ١٩٩٧.

(٢٩) راجع كتاب: «صفحات عز في كتاب الأمة» مرجع سابق، ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٣٠) المرجع نفسه، ص٢٠٧-٢٠٨.

(٣١) كراس صادر عم المؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم، ١٩٩٧.

(٣٢) راجع نص البيان في: جريدة السفير، ٢٠ نوفمبر ١٩٩٩

(٣٣) راجع لرسالة المفتوحة لحزب الله التي نشرها عام ١٩٨٥، وكذلك جريدة العهد الناطقة باسم الحزب في عددها الأول، حزيران / يونيو ١٩٨٤.

(٣٤) راجع مقالنا، «الإسلاميون والديمقراطية»، المرجع السابق في مجلة النور.

(٣٥) جريدة الديار، ١٩٩٧/٩/١٥.

(٣٦) الصحف اللبنانية، ١٩٧/٩/١٩.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com